بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة، بعنوان:

هلا شققت عن قلبه

النبي (ﷺ) يصوغ الإعلان العالمي الأول لحقوق الإنسان

دروس تربوية وحقوقية مستلهمة من هذا الحديث الشريف

منظومة حقوق الإنسان في الإسلام سبق حضاري

(أربعة وعشرون حقًا تُجسّد كرامة الإنسان وعدالة الشريعة)

بقلم الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الجمعة: ٢٣ جمادى الأولى ١٤٤٧هـ، الموافق ١٤ نوفمبر ٢٠٢٥م

موقع صوت الدعاة - صفحة معارج الدعاة

الحمد لله الذي أنعم علينا بنور العقل، وأكرمنا بفيض العلم، ويسّر لنا بقدرته من أدوات التطور والتكنولوجيا ما خفّف عن الناس مشاق الحياة... إنها نعمٌ متجددةٌ تُذكّرنا بقول الله تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الجاثية: ١٣)؛ لنستثمرها في خدمة الإنسان، ونُسخّرها لبناء حضارةٍ راشدةٍ تقوم على الرحمة والهداية والتطور والنماء...

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رب كل شيء ومليكه، ونشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) عبده ورسوله، وصفيُّه من خلقه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان، الأشرفان الأنوران، الأعطران الأزهران، المزهران المثمران، على مَن جُمعت كلّ الكمالات فيه.. وعلى آله وصحبه وتابعيه.. اللهم صلّ أفضل صلاة، على أسعد مخلوقاتك، سَيِّدِنَا محمد (ﷺ)، وعلى آله وصحبه؛ عدد معلوماتك، ومداد كلماتك، كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون، ورضي الله عن مشايخنا ووالدينا وأجدادنا وأولادنا وأزواجنا، والصالحين من عبادك، وأولياء الله أجمعين.

اللهم صلّ صلاة كاملة، وسلم سلامًا تامًّا، على نبي تنحلُ به العُقد، وتنفرج به الكُرب، وتقضى به الحوائج، وتُنالُ به الرغائب، وحُسنُ الخواتيم، ويستسقى الغمامُ بوجه الكريم. وعَلَى آلِهِ الطاهرين، وصحبِه الطيبين، وسلِّم تسليمًا كثيرًا... اللهم آمين يا رب العالمين.

فَمَبْلَغُ العِلْـمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ... وَأَنَّهُ خَيْـرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِـمِ

مولاي صلِّ وسلم دائما أبدًا... على حبيبك خير الخلق كلهم

اللهم رضِّه عنَّا، وارض عنَّا، برضاه عنَّا.. ووضئنا بأخلاقه العظيمة، وحقق أمانينا بزيارته، وافتح لنا أبواب رؤيته، ونيل شفاعته، اللهم آمين يا رب العالمين...

عباد الله: أوصيكم ونفسي المقصرة بتقوى الله، فإنها وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا) (النساء: ١٣١)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)، وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (الأحزاب: ٧٠-٧١)، وقال تعالى: (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (البقرة: ٢٢٣)... اللهم اجعلنا مِن الذين قال الله (تعالى) فيهم: (تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) (السجدة: ١٦)... أما بعد،،،

علم الله المحيط بالباطن والظاهر

الله (سبحانه وتعالى) متصف بكل صفات الكمال والجلال والجمال والعظمة والكبرياء ومخالفة الحوادث[١]...

ومن صفات الكمال الإلهي، صفة العلم، وعلم الله تعالى محيط، فهو (سبحانه العليم) بكل شيء عليم، بالظاهر والباطن، بالغيب والشهادة،...إلخ، لا تخفى عليه فافية، ولا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء.

يعلم ما يجري في ملكوته الواسع، وما تُخفيه الصدور وما تُبديه العقول، وما يُسِرّه الإنسانُ في نفسه، وما يجيش في صدره، وما يجول في خاطره، قبل أن ينطق به لسانه. قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) (آل عمران: ٥)، وقال جل جلاله: (وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) (طه: ٧)، وقال تعالى: (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ. عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ. سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) (الرعد:٨-١٠)، وقال: (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) (غافر: ١٩)، وقال تعالى: (...وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (البقرة: ٢١٦)، وقال تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (المجادلة: ٧).

- فهو (سبحانه وتعالى) **يعلم ما في سطح الأرض من مليارات المخلوقات وأحوالها وظروفها وأفعالها ومصيريها...، وما في باطنها وطبقاتها وأعماقها** في كل أرض الله وغيرها، من كنوزٍ ومعادنٍ ومياهٍ وأنهارٍ جارية في أغوارها، وأموات في قبورها...
- ويعلم ما في **قيعان البحار والمحيطات** والأنهار والبحيرات من مخلوقاتٍ لا تراها الأبصار، وما في ظلماتها من حركاتٍ دقيقة لا يسمعها أحد.
- ويعلم ما في **طبقات الغلاف الجوي والفضاءات الشاسعة من نجوم وكواكب ومجرات وسُدُم**، ومواقعها الدقيقة في هذا الكون المترامي الأطراف، ويعلم ذرات الكون متى خُلقت، وأين وُضعت، وما مصيرها، كما قال تعالى:

(١) الحادث: هو ما دون الله سبحانه وتعالى، وهو مَن خلقه الله جل في علاه.

(وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) (الأنعام: ٥٩).

- **بل إن علمه (جل وعلا) ينفذ إلى أعماق القلوب وأغوار النفوس، فيعلم ما تضمره النيات، وما تُخفيه المقاصد، وما يدور في العقول والقلوب** من خواطر وحديث النفس. قال سبحانه: (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) (غافر: ١٩). فالله وحده يعلم السرائر، ويُثيب أو يُعاقب على ما في الباطن كما على ما في الظاهر، لذلك علمنا النبي العظيم أن الله تعالى ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا، وأننا محاسبون على الفتيل والنقير والقطمير، لأن علم الله شامل ومحيط ودائم، يقول النبي ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وأَمْوالِكُمْ، ولَكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وأَعْمالِكُمْ) [٢].

وفي قصة سيدنا موسى وسيدنا الخضر (عليهما السلام)، حين علّمه الله (تعالى) أن وراء الأحداث الظاهرة حِكَمًا باطنةً لا يعلمها إلا اللهُ العليم، يقول تعالى: (...وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا) (الكهف: ٦٥).

وكذلك قصة سيدنا يوسف (عليه السلام)، إذ قدَّر اللهُ (سبحانه وتعالى) له الخيرَ من حيث لا يحتسب، وجعل من السجن طريقًا إلى المُلك والحُكم، فكان قوله (تعالى) شاهدًا على علم الله المحيط: (...إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (يوسف: ١٠٠). أما الإنسان، فمهما بلغ من العلم والذكاء، فإنه لا يدرك إلا ظاهر الأشياء، كما قال تعالى: (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا....) (الروم: ٧)، وليس مخولًا أن يطّلع على نيات الناس أو ما تخفيه الصدور؛ لأن علم القلوب لله وحده. وقد قال النبي (ﷺ) لمن ظن بغيره أنه قال لا إله إلا لينجو من القتل: (أفَلا شَقَقْتَ عن قَلْبِهِ حتَّى تَعْلَمَ أقالَها أمْ لا؟) [٣]، في إشارة إلى أن حكم البَشر يكون بالظاهر، وأما السرائر فإنها فقط إلى الله العليم. فسبحان الله العليم، الذي وسع علمه كل شيء؛ في أعماق الأرض، وفي ظلمات البحر، وفي طبقات الجو، وفي الفضاءات العليا، وفي خفايا القلوب والعقول، يعلم السر وأخفى، ويُحيط علمه بالماضي والحاضر والمستقبل، لا يعزب عنه مثقال ذرة في ملكه، وهو اللطيف الخبير.

قدسية الحياة في التصوّر الإسلامي

الحياةُ في التصوّر الإسلامي ليست مجرّد وجودٍ بيولوجيّ يُقاس بالأنفاس ودقّات القلوب؛ بل هي أمانةٌ ربّانيةٌ وحقٌّ مقدَّسٌ صانها اللهُ (سبحانه وتعالى) تشريفًا للإنسان وتكريمًا له.

فمنذ أن نُفِخت فيه الروحُ أُحيط بسياجٍ من الرحمة والرعاية والحماية، وجُعِل الاعتداءُ على نفسه أو على غيره جريمةً كبرى، وعصيانًا للخالق، وعدوانًا على بنيان الله قبل أن يكون عدوانًا على المخلوق.

وهكذا أعلن الإسلامُ –في وضوحٍ وجلالٍ– أن صيانة الحياة وحمايتَها من الظلم والعبث هي حجر الأساس في الاستخلاف في الأرض وفي بناء الحضارة الإنسانية الراشدة.

إنما الأعمال بالنيات

عن أبي حفص أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (إنَّما الأعْمالُ بالنِّيّاتِ، وإنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى، فمَن كانَتْ هِجْرَتُهُ إلى دُنْيا يُصِيبُها، أوْ إلى امْرَأةٍ يَنْكِحُها، فَهِجْرَتُهُ إلى ما هاجَرَ إلَيْهِ) [٤]. هذا الحديثُ العَظيمُ قاعدةٌ مِن قواعدِ الإسلامِ، وأصلٌ مِن أُصولِ الشَّريعةِ، حتَّى قِيلَ فيه: إنَّه ثُلثُ العِلمِ، حيثُ أكد فيه (ﷺ): (إنَّما الأعْمالُ بالنِّيّاتِ)، ومن ثم فلا تصِحُّ جَميعُ العِباداتِ الشَّرعيَّةِ إلَّا بوُجودِ النِّيَّةِ فيها، (وإنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى)، فإنَّما يَعودُ على المسلمِ مِن عَملِه ما قصَدَه منه، وهذا الحُكمُ عامٌّ في جَميعِ الأعمالِ مِنَ العباداتِ

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه..
(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه..
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه.

والمعاملاتِ والأعمالِ العاديَّةِ؛ فمَنْ قصَدَ بعَملِه مَنفعةً دُنيويَّةً لم يَنلْ إلَّا تلكَ المَنفعةَ ولو كان عِبادةً، ومَن قصَدَ بعَملِه التَّقرُّبَ إلى اللهِ (سبحانه وتعالَى) وابتغاءَ مَرضاتِه، نالَ مِن عَملِه المَثوبةَ والأجرَ ولو كان عمَلًا عاديًّا، كالأكلِ والشُّربِ، ثُمَّ ضرَبَ (ﷺ) الأمثلةَ العمليَّةَ لِبيانِ تأثيرِ النِّيَّاتِ في الأعمالِ فبيَّنَ أنَّ مَن قصَدَ بِهجرتِه امتثالَ أمْرِ ربِّه، وابتغاءَ مَرضاتِه، والفرارَ بِدِينِه مِنَ مواطنِ الفتنِ؛ فهِجرتُه هِجرةٌ شرعيَّةٌ مَقبولةٌ عندَ اللهِ تعالَى ويُثابُ عليها لِصدقِ نيَّتِه، وأنَّ مَن قصَدَ بِهجرتِه مَنفعةً دُنيويَّةً وغرَضًا شخصيًّا، مِن مالٍ، أو تجارةٍ، أو زَوجةٍ حَسناءَ؛ «فهِجرتُه إلى ما هاجَرَ إليه»، فلا يَنالُ مِن هِجرتِه إلَّا تلك المنفعةَ الَّتي نَواها، ولا نَصيبَ له مِنَ الأجرِ والثَّوابِ(٥).

وقد صدرنا هذا الموضوع بقضية النبية لأهمية الإشارة إليها والتأكيد عليها هنا مع غيرها من مقتضيات الإيمان.

ماذا فعل أسامة بن زيد حتى يغضب النبي (ﷺ) بهذا الشكل؟

في إحدى الغزوات، ارتكب أسامة بن زيد (رضي الله عنه) فعلا مؤلمًا باجتهاد خطأ، أحزن سيدنا النبي (ﷺ) جدًّا، حين قتل رجلًا نطق بالشهادتين، ظنًّا منه أنه قالها خوفًا من السيف لا ايمانًا صادقًا.

ذلك أنه لما بلغ ذلك النبي (ﷺ)، اشتعل وجهه غضبًا شديدًا، وقال بصوتٍ يزلزل القلوب: (أقالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وقَتَلْتَهُ؟)

قال أسامة: يا رَسولَ اللهِ، إنَّما قالَها خَوْفًا مِنَ السِّلاحِ قالَ النبي (ﷺ) بنبرةٍ تفيض حكمة: (أفَلا شَقَقْتَ عن قَلْبِهِ حتَّى تَعْلَمَ أقالَها أمْ لا؟)، يقول أسامة: فَما زالَ يُكَرِّرُها عَلَيَّ حتَّى تَمَنَّيْتُ أنِّي أسْلَمْتُ يَومَئِذٍ...) (٦).

ثم ضرب رَسولُ اللهِ (ﷺ) بسؤالٍ يجلّي عظمة الأمر ويقرع القلوب حيث قالَ: (فَكيفَ تَصْنَعُ بلا إلَهَ إلَّا اللَّهُ إذا جاءَتْ يَومَ القِيامَةِ؟)

قالَ: يا رَسولَ اللهِ، اسْتَغْفِرْ لي، قالَ: (وكيفَ تَصْنَعُ بلا إلَهَ إلَّا اللَّهُ إذا جاءَتْ يَومَ القِيامَةِ؟) (٧).

أفَلا شَقَقْتَ عن قَلْبِهِ

القصة وما فيها من دروس وعبر

- أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) قال: بَعَثَنا رَسولُ اللهِ (ﷺ) في سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحْنا الحُرَقاتِ مِن جُهَيْنَةَ، فأدْرَكْتُ رَجُلًا فقالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، فَطَعَنْتُهُ، فَوَقَعَ في نَفْسِي مِن ذلكَ، فَذَكَرْتُهُ للنبيِّ (ﷺ)، فقالَ رَسولُ اللهِ (ﷺ) : (أقالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وقَتَلْتَهُ؟) قالَ: قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، إنَّما قالَها خَوْفًا مِنَ السِّلاحِ، قالَ: (أفَلا شَقَقْتَ عن قَلْبِهِ حتَّى تَعْلَمَ أقالَها أمْ لا؟) فَما زالَ يُكَرِّرُها عَلَيَّ...) (٨).
- وأخرج الإمام البخاري في صحيحه عن أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) قالَ: بَعَثَنا رَسولُ اللَّهِ (ﷺ) إلى الحُرَقَةِ مِن جُهَيْنَةَ.

قالَ: فَصَبَّحْنَا القَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ.

قالَ: ولَحِقْتُ أنَا ورَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ رَجُلًا منهمْ.

قالَ: فَلَمَّا غَشِينَاهُ (٩) قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، قالَ: فَكَفَّ عنْه الأنْصَارِيُّ، فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حتَّى قَتَلْتُهُ.

قالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذلكَ النَّبِيَّ (ﷺ).

قالَ: فَقالَ لِي: (يا أُسَامَةُ، أقَتَلْتَهُ بَعْدَ ما قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ؟!)

(٥) انظر: الدرر السنية الحديثية – شرح الحديث

(٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، أخرجه الإمام البخاري باختلاف يسير.

(٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، أخرجه الإمام البخاري باختلاف يسير

(٨) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، أخرجه الإمام البخاري باختلاف يسير.

(٩) غشيناه: أي: فلما هجمنا عليه وأحطنا به في القتال وأصبح في قبضتنا.

قالَ: قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّما كانَ مُتَعَوِّذًا.

قالَ: (أقَتَلْتَهُ بَعْدَ ما قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ؟!).

قالَ: فما زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حتَّى تَمَنَّيْتُ أنِّي لَمْ أكُنْ أسْلَمْتُ قَبْلَ ذلكَ اليَومِ (١٠).

- وفي رواية للإمام مسلم: أنَّ جُنْدَبَ بنَ عبدِ اللهِ البَجَلِيَّ (رضي الله عنه) بَعَثَ إلى عَسْعَسِ بنِ سَلامَةَ زَمَنَ فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ. فقالَ: اجْمَعْ لِي نَفَرًا مِن إخْوانِكَ حتَّى أُحَدِّثَهُمْ.

فَبَعَثَ رَسولًا إليهِم، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جاءَ جُنْدَبٌ وعليه بُرْنُسٌ أصْفَرُ، فقالَ: تَحَدَّثُوا بما كُنْتُمْ تَحَدَّثُونَ به حتَّى دارَ الحَديثُ.

فَلَمَّا دارَ الحَديثُ إلَيْهِ حَسَرَ البُرْنُسَ عن رَأْسِهِ، فقالَ:

إنَّ رَسولَ اللهِ (ﷺ) بَعَثَ بَعْثًا مِنَ المُسْلِمِينَ إلى قَوْمٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، وإنَّهُمُ التَقَوْا فَكانَ رَجُلٌ مِنَ المُشْرِكِينَ إذا شاءَ أنْ يَقْصِدَ إلى رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ قَصَدَ له فَقَتَلَهُ.

وإنَّ رَجُلًا مِنَ المُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ، قالَ: وكُنَّا نُحَدَّثُ أنَّه أُسامَةُ بنُ زَيْدٍ، فَلَمَّا رَفَعَ عليه السَّيْفَ قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ فَقَتَلَهُ.

فَجاءَ البَشِيرُ إلى النبيِّ (ﷺ) فَسَأَلَهُ فأخْبَرَهُ، حتَّى أخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كيفَ صَنَعَ، فَدَعاهُ فَسَأَلَهُ فقالَ (ﷺ): (لِمَ قَتَلْتَهُ؟!).

قالَ: يا رَسولَ اللهِ، أوْجَعَ في المُسْلِمِينَ، وقَتَلَ فُلانًا وفُلانًا، وسَمَّى له نَفَرًا، وإنِّي حَمَلْتُ عليه، فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ.

قالَ رَسولُ اللهِ (ﷺ) : (أقَتَلْتَهُ؟).

قالَ: نَعَمْ.

قالَ (ﷺ): (فَكيفَ تَصْنَعُ بلا إلَهَ إلَّا اللَّهُ إذا جاءَتْ يَومَ القِيامَةِ؟).

قالَ: يا رَسولَ اللهِ، اسْتَغْفِرْ لِي.

قالَ (ﷺ): (وكيفَ تَصْنَعُ بلا إلَهَ إلَّا اللَّهُ إذا جاءَتْ يَومَ القِيامَةِ؟)

قالَ: فَجَعَلَ لا يَزِيدُهُ علَى أنْ يَقُولَ: (كيفَ تَصْنَعُ بلا إلَهَ إلَّا اللَّهُ إذا جاءَتْ يَومَ القِيامَةِ) (١١).

أيها المؤمنون: جاءَ الإسلامُ ليَحفظَ على النَّاسِ أنفُسَهم ودِماءهم، ويَمنعَهم من الاعتداءِ على بعضِهمُ البَعضَ بغيرِ وجهِ حقٍّ، وشهادةُ المَرءِ بالتَّوحيدِ تَعني دُخولَه في الإسلامِ، وتَحفَظُ دمَه ومالَه وعِرضَه.

وفي هذا الحديثِ السابق يُخبِرُ التَّابعيُّ صَفوانُ بنُ مُحرِزٍ أنَّ جُندُبَ بنَ عبدِ اللهِ البَجَليَّ (رَضيَ اللهُ عنه) أرسَلَ إلى عَسعَسِ بنِ سَلامةَ في زمَنِ فِتنةِ عبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيرِ (رَضيَ اللهُ عنهما) –التي وقَعَت سَنةَ أربعٍ وسِتِّينَ مِنَ الهجرةِ، وهي أيَّامُ حربِه مع بَني أُمَيَّةَ– أن يَجمَعَ له نفرًا من إخوانِه –والنَّفرُ: من ثَلاثةٍ إلى عَشَرةٍ– حتَّى يُحَدِّثَهم.

فلمَّا اجتمَعوا جاءَ إليهم جُندُبٌ (رَضيَ اللهُ عنه) وكانَ عليه بُرنُسٌ أصفرُ، والبُرنُسُ: كلُّ ثوبٍ رأسُه مُلتصِقٌ به، وظاهِرُه أنَّهم لَمَّا حضَروا عندَ جُندبٍ جعَلُوا يَتحدَّثونَ بينَهم وبينَ بعضِهم حتى يأتيَهم ويَدخُلَ عليهم.

فلمَّا دخلَ (رَضيَ اللهُ عنه) عليهم، قالَ لهُم: تحدَّثوا بما كُنتُم تَتحدَّثون به، حتَّى دارَ الحديثُ عليهم واحدًا واحدًا، قيلَ: إنَّما أمَرَهم بذَلك؛ لِئلَّا يَستوحشُوا، فيَقطَعُوا حديثَهم بسببِ حُضورِه حياءً منه، فلمَّا جاءَ دَورُه في الكَلامِ كشَفَ البُرنُسَ ونحَّاه عن رأسِه، فأخبَرَهم أنَّ رَسولَ اللهِ (ﷺ) بَعَثَ جيشًا منَ المُسلِمينَ إلى قومٍ مِنَ المُشرِكين –وهُم الحُرَقَةُ من قَبيلةِ جُهينةَ، كما في الصَّحيحَينِ من حديثِ أُسامةَ (رَضيَ اللهُ عنه)– وأنَّ الجَيشَينِ الْتَقَوا.

(١٠) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، أخرجه الإمام مسلم باختلاف يسير.

(١١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، أخرجه الإمام البخاري باختلاف يسير

والحُرَقَةِ: هم قَومٌ مِن قَبِيلةِ جُهَيْنَةَ، وهي قبيلةٌ عَربيَّةٌ عَريقةٌ، تُعَدُّ أكبرَ قبائِلِ قُضاعةَ عددًا، ومن أقدَمِهم ذِكرًا، تنتَشِرُ دِيارُهم ما بين الحِجازِ وتِهامةَ، وكان ذلك في رَمَضانَ سنة سَبعٍ أو ثمانٍ مِنَ الهِجرةِ، فهجموا عليهم صَباحًا قبْلَ أنْ يَشعُروا وهَزَموهم.

وكانَ يُوجَدُ رَجلٌ مُحارِبٌ ماهِرٌ مِنَ المُشرِكين إذا أرادَ أن يَتوجَّهَ إلى رجُلٍ مِنَ المُسلِمين تَوجَّهَ إليه بمَهارةٍ وطلَبه بعينِه، فقتَلَه.

وأنَّ رجُلًا مِنَ المُسلِمين تَوجَّهَ إلى ذلك الرَّجلِ المُشرِكِ مُنتظِرًا غَفلتَه ليَقتلَه، وكانَ الصَّحابةُ (رَضيَ اللهُ عنهم) يَتحدَّثونَ أنَّ ذلك الرَّجلَ المُسلِمَ هو أُسامةُ بنُ زيدٍ (رَضيَ اللهُ عنهما).

لقد لحق أسامةُ بنُ زَيدٍ ورجُلٌ مِن الأنصار بهذا الرجل، فلما اقتربا منه وكادا يقتلانِه، قال الحُرَقِيُّ–قِيل: اسمُه مِرْدَاس–: «لا إلهَ إلَّا اللهُ»، فكَفَّ عنه الأَنْصَارِيُّ ولم يقتُلْه، بينما طَعَنَه أُسامةُ (رَضِيَ اللهُ عنه)، ولمَّا رفَعَ أُسامةُ السَّيفَ على الرَّجلِ المُشرِكِ ليَقتُلَه قالَ الرَّجلُ قبلَ وُصولِه إليه: «لا إلهَ إلَّا اللهُ»، مع قَرينتِها، وهي «محمَّدٌ رَسولُ اللهِ»؛ لأنَّه لا يَتمُّ الإيمانُ إلَّا بهما، فاقتَصَرَ الرَّاوي على كَلمةِ التَّوحيدِ اكتفاءً بدَلالتِها عليها.

فقَتَلَه أُسامةُ (رَضيَ اللهُ عنه)، وقد ظنَّ حينَ قَتَلَه أنَّه قالَ كلمةَ التَّوحيدِ اتِّقاءً منَ السَّيفِ.

ولمَّا انتهَتِ الحَربُ جاءَ المُبشِّرُ إلى سيدنا رَسولِ اللهِ (ﷺ)، فسألَه النَّبيُّ (ﷺ) عمَّا وقَعَ في الجَيشِ مِنَ الأمورِ؛ لِيُبيِّنَ حُكمَ ما فُعِلَ منها ممَّا لم يَتقدَّم فيه منه بيانٌ، وأخبَرَه مُتدرِّجًا من أمرٍ إلى آخَرَ، حتَّى أخبَرَه خبَرَ أُسامةَ (رَضيَ اللهُ عنه) كيف صنَعَ؟.

فدَعاه (ﷺ)، وسألَه: «لِمَ قتَلتَه؟» فأجابَه: يا رسولَ اللهِ، إنَّه قد أوقَعَ الوجَعَ والنِّكايةَ في المُسلِمين، وقتَلَ فُلانًا وفلانًا، وسمَّى أُناسًا من أصحابِ النَّبيِّ (ﷺ)، وأخبَرَ أنَّه شدَّ عليه واجتهَدَ في قتلِه، فلمَّا رأى السَّيفِ وأيقَنَ أنَّه مَقتولٌ قالَ: «لا إلهَ إلَّا اللهُ» ليَقِيَ نفسَه منَ الموتِ.

وفي روايةٍ أُخرى لمُسلِمٍ عن أُسامةَ (رَضيَ اللهُ عنه): «إنَّما قالَها خوفًا منَ السِّلاحِ»، فقالَ له النَّبيُّ (ﷺ) : «أفَلا شقَقْتَ عن قلبِه حتَّى تَعلَمَ أقالَها أم لا؟» إنكارًا منه (ﷺ) لقَتلِه له بعدَ أن تَلفَّظَ بكَلمةِ التَّوحيدِ.

فقالَ له رَسولُ اللهِ (ﷺ) : «فكَيفَ تَصنَعُ بلا إلهَ إلَّا اللهُ إذا جاءتْ يومَ القيامةِ؟» وجعَلَ لا يَزيدُ على أن يقولَها، أي: مَن يَشفَعُ لك ومَن يُحاجُّ عنك ويُجادِلُ إذا جيءَ بكَلمةِ التَّوحيدِ، وقيلَ لك: كيف قتَلتَ مَن قالَها وقد حصَلَ له ذِمَّةُ الإسلامِ وحُرمتُه؟!.

عندها طلَبَ أُسامةُ (رَضيَ اللهُ عنه) من النَّبيِّ (ﷺ) أن يَستغفرَ له، ولكنَّ رَسولَ اللهِ (ﷺ) لم يَزِد على قولِه له: «كيفَ تَصنَعُ بلا إلهَ إلَّا اللهُ إذا جاءتْ يومَ القيامةِ؟». وظلِ يكررها النبي تأنيبًا لأسامة وتخويفا لغيرِه منَ المُسلِمينَ.

وفي روايةِ البُخاريِّ عن أُسامةَ (رَضيَ اللهُ عنه): «فما زالَ يُكرِّرُها عليَّ، حتَّى تَمنَّيتُ أنِّي لم أكُنْ أسلمتُ قبْلَ ذلك اليومِ»؛ لأنَّ الإسلامَ يَجُبُّ ما قبلَه، فاستصغرَ ما سبَقَ له قبلَ ذلك من عملٍ صالِحٍ في مُقابَلةِ هذه الفَعلةِ لِما سَمِعَ منَ النَّبيِّ (ﷺ) منَ الإنكارِ الشَّديدِ [١٢].

وهذا الموقف النبوي العظيم يعبّر عن:

١. قمة الوعي الإنساني والخُلُقي.
٢. تأسيس قاعدة شرعية كبرى: وهي: "أن الناس يُعامَلون في الدنيا على ظاهرهم، أما سرائرهم فهي إلى الله تعالى"، ومن ثم لا يُحاسب الشخص على نواياه، بل على أعماله الظاهرة.
٣. ترسيخ العدالة الحقيقية التي تُبنى على اليقين ولا تُبنى أبدًا على الظنون.

[١٢] https://dorar.net/hadith/sharh/١٣١٤٦

الدروس التربوية والحقوقية المستلهمة من هذا الحديث الشريف

١- حق الإنسان في الحياة

أول ما يتجلى في الحديث الشريف هو تحريم سفك الدماء بغير حق، حتى ولو كان ذلك في ميدان القتال.

لقد أنكر النبي (ﷺ) على أسامة قتل رجلٍ نطق بالشهادة، مع أن الظاهر يدل على خوفه من الموت.

لكنّ النبي (ﷺ) جعل مجرد التلفظ بكلمةً التوحيد سببًا كافيًا لحماية الدم، فقال: «أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟!» وهذا يرسخ مبدأ أن الأصل في النفس الإنسانية العصمة. قال تعالى: (...مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ...) (المائدة: ٣٢).

ففي الشريعة الإسلامية، الحق في الحياة حقٌّ مقدّس، لا يجوز المساس به إلا بحق أوجبه الشارع، كحدٍّ ثابت أو قصاصٍ قضت به سلطة عادلة... وهذا أسبق وأسمى من كل المواثيق الحديثة، ومنها ما جاء في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان التي نصت على: "لكل فرد الحق في الحياة والحرية والأمان على شخصه".

٢- حق الإنسان في الأمان وعدم الاعتداء

إن قول النبي (ﷺ) لأسامة: «هلا شققت عن قلبه؟» توبيخ بالغ المعنى، يُظهر أن الإسلام يحمي الإنسان حتى في موضع الاشتباه، فلا يُعتدى عليه بناءً على الظنون أو التخمينات.

في القوانين الحديثة، يُعرف هذا بمبدأ "قرينة البراءة"، أي أن الإنسان بريء حتى تُثبت إدانته بيقين. وفي الإسلام، فلدينا قاعدة في غاية الأهمية: [ادرَؤُوا الحدودَ بالشُّبُهاتِ].

بل إن النبي (ﷺ) رفض أن يُعتدى على مشركٍ قال كلمة توحي بالإيمان، فكيف بإنسان مسلم صريح؟

فهذا الحديث من أعمق ما يُؤصّل لحق الإنسان في الأمان الشخصي والمعنوي.

٣- احترام حرية الإنسان في معتقده وفكره ودينه

حين قال النبي ﷺ: «هلا شققت عن قلبه؟» أراد أن يعلّم الأمة أن الضمير البشري منطقةٌ محرَّمة، لا يقتحمها أحدٌ إلا الله. فالنية، والإيمان، والمعتقد، والمشاعر الداخلية لا يُحاسَب عليها الناس، بل هي من خصوصيات العلاقة بين العبد وربه.

وقد سبق الإسلام المواثيق الدولية في ذلك حين قرر ذلك في قوله تعالى في القرآن الكريم: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٥٦)، (لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ) (الغاشية: ٢٢).

إذًا، يرسُم الحديث حدودًا فاصلة بين الظاهر والباطن، ويمنع سلطة الإنسان على نية الإنسان، وهذا لُبٌّ من لُباب حقوق الإنسان.

٤- حق الإنسان في العدالة والإجراءات المنصفة

فالنبي (ﷺ) لم يقبل من أسامة اجتهاده الذي تسبب في قتل هذا الشخص –الذي قتل عددا من المسلمين– بعد أن نطق بالشهادة؛ لأن الإسلام لا يجيز العقوبة أو العدوان بناءً على الظن. بل جعل ميزان العدالة قائمًا على اليقين والدليل، والقاعدة تقول: «البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر».

وهذا ما طبقه النبي (ﷺ) في موقفه مع أسامة: لم يسمح للعاطفة أو القرابة أو المحبة أن تحجب ميزان الحق.

٥- المساواة أمام الشرع دون تمييز

أسامة بن زيد كان «حبّ رسول الله وابن حِبّه»؛ ومع ذلك، لم يجامله النبي (ﷺ)، بل عاتبه علنًا، وبأسلوب شديد اللهجة والإنكار، وبما يتناسب مع الحدث.

فهذا الموقف يجسد مبدأ المساواة أمام القانون والعدالة دون تفرقة في المكانة أو القرابة.

وهذا هو ما تنادي به اليوم المواثيق الحديثة، لكنه في الإسلام أصل قرآني: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) (النساء: ١٣٥).

٦- حقوق الأسرى والمقاتلين في زمن الحرب

هذا الحديث الشريف يُبرز أن الإنسان حتى في ساحة المعركة له حرمة، ولا يُقتل إلا بحق.

ذلك لأن النبي (ﷺ) لم يقرّ قتل رجلٍ من الأعداء بعد أن أعلن كلمة الإسلام، رغم أن الموقف حربي.

وهذا قمة الانضباط الأخلاقي في القتال، الذي أسس له الإسلام قبل أن تُكتب اتفاقيات جنيف بأكثر من ثلاثة عشر قرنًا. وهذا يبرز أن الحق في الحياة والكرامة الإنسانية يمتد حتى لكل الناس حتى لأعداء الحرب.

٧- حق الإنسان في الكرامة والتوبة وتصحيح موقفه

والحديث الشريف أيضًا يفيض بالخير والرحمة ويفتح باب احترام التحول الإيماني، فمن قال «لا إله إلا الله» ولو في آخر لحظة، فله أن يُعامل بما نطق. وفي ذلك احترام لكرامة الإنسان، ولحقه في أن يُغيّر قناعته دون أن يُشكك في صدقه. الإسلام لا يُجرّم التردد ولا الخوف، بل يحتفي بأي بادرة نحو الخير والإيمان، ويترك الحكم على النيات لله وحده. وهذا يختلف عن كثير من النظم التي تصف الإنسان بالازدواجية أو الخداع إذا بدّل موقفه.

وهكذا فإن قول النبي (ﷺ) «هلا شققت عن قلبه» ليس مجرد عتاب لشخص بعينه، بل هو إعلان عالمي مبكر عن كرامة الإنسان وحقوقه، صاغه النبي (ﷺ) بلغة الرحمة والحكمة والعدل، كأولِ إعلان عالمي لحقوق الإنسان.

فقد تضمّن هذا الموقف النبوي:

- صيانة حق الحياة.
- حماية حرية الضمير والمعتقد.
- ترسيخ درء الحدود بالشبهات.
- الدعوة إلى العدالة المتجردة من الهوى.
- تأكيد المساواة أمام القانون.
- وإعلاء الكرامة الإنسانية حتى في ميدان القتال.

ومن ثم، فإن الحديث النبوي الشريف يُعدّ منطلقًا تشريعيًّا وإنسانيًّا لما يمكن تسميته اليوم بـ"الإعلان النبوي العالمي الأول لحقوق الإنسان"، إذ سبق كل الوثائق الوضعية، وغرس في النفوس أن الكرامة هِبة من الله لا تُنال بعرقٍ أو لونٍ أو مالٍ أو نسب.

نقطة تأمل!

لقد كان الموقفُ مهيبًا جليلًا؛ فالرسولُ (ﷺ)، وهو الرحمةُ المهداةُ إلى العالمين، لم يُجامل أحدًا في الحق، ولم يمنعه حبُّه الكبير لأسامةَ بن زيدٍ –الحِبّ ابن الحِبّ، أي المحبوب ابن المحبوب– عن الغضب لانتهاك حرمات الله، أو عن إعلان كلمة الحق. وفي ذلك درسٌ بليغٌ وخالدٌ للأمة كلِّها؛ إذ عاتبه النبي (ﷺ) عتابًا شديدًا؛ –وهو تعليم له وللأمة– ليُقيم ميزانَ العدل الإلهي، ويُقرِّر أن للدماء في الإسلام حرمةً عظيمة، وأن كلمةَ التوحيد لا يجوز التعرُّضُ لقائلها إلا بيقينٍ جازمٍ من نفاقه، لا بظنٍّ أو هوًى؛ لذلك سنتعرض في السطور التالية بالشرح والتوضيح لأنواع المستعيذين بالله وأحوالهم وأحكامهم.

أما أسامةُ بن زيدٍ (رضي الله عنه)، فكان مثالًا للتواضع، ونموذجًا لقبول الحق؛ لم يتكبّر على توجيه النبي (ﷺ)، بل انكسر قلبُه لله ندمًا وحزنًا على ما فعل، وطلب العفو من الله، وطلب من النبي (ﷺ) أن يستغفر له، بل وقال:

تمنيتُ أني لم أكن أسلمتُ قبل ذلك اليوم، أي تمنّى لو كان إسلامُه بعد تلك الحادثة لتمحى عنه تبعاتُها، إذ إن الإسلامَ يجبُّ ما قبله من الذنوب.

الدروس التربوية المستفادة من القصة:

١. أن كلمة التوحيد لها مكانتها العظمى، ولا يجوز التهاون بحقها أو التشكيك في نية قائلها.
٢. أن الإسلام يقدّر النيات (إنما الأعمال بالنيات)، لكنه يحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر.
٣. وجوب التثبت قبل إصدار الأحكام، خاصة في الدماء والأعراض، لأن الخطأ فيها لا يُجبر.
٤. حرمة دماء أهل التوحيد، فلا تُراق إلا بحق.
٥. أن الحق لا يُجامل فيه أحد، ولو كان المخطئ أحب الناس إلى القلب، فدين الله فوق العواطف والعلاقات.
٦. أن القائد الحقيقي هو من يُصحح ويربي بحزم ورحمة معًا، كما فعل النبي ﷺ مع أسامة.
٧. أن الرجوع إلى الحق فضيلة، وأعظم منه أن يتعلم المرء من خطئه ويزداد تواضعًا بعده.
٨. أن التربية النبوية لا تقوم على الإهانة، بل على إيقاظ الضمير، ولهذا ظل أثر الموقف في نفس أسامة ما عاش.
٩. مشروعية اللوم والتعنيف والمبالغة في الوعظ عند الأمور المهمة، وأخذ الإمام على يد المخطئ أيًّا كانت مكانته عنده.
١٠. تسكين العالم والرجل العظيم المطاع وذي الشهرة للناس عند الفتن، ووعظهم، وتوضيح الدلائل لهم.

وهكذا كان غضب النبي (ﷺ) درسًا خالدًا، يذكّرنا أن الإسلام يحكم بالظاهر ولا يتعداه إلى ظنون القلوب، وأن صيانة الدماء واجبة، وأن التسرع في الحكم على النيات قد يقود إلى ظلمٍ عظيم.

إنها حادثةٌ تتوهج في وجدان كل مسلم، تحذر من العبث بحقوق الإنسان وتحض على الرأفة والعدل المتواتر والشامل والمستدام.

أنواعُ المستعيذين باللّه

عن سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) قال: (من استعاذَ باللهِ فأَعيذوهُ، ومَن سألَكم بوجهِ اللهِ فأعطوهُ...) [١٣]، وهذا التوجيه النبوي يشير إلى السماحة ومساعدة الآخرين، والأخذ بيد الناس إلى طريق الله جل في علاه.

- والسماحة تصدرُ من أعماقِ القلوبِ المؤمنةِ التي عمَّرها الله تعالى وغمَرها بالرحمة.
- والسماحة تنبع أيضا من الفطرةِ السليمة التي فطرَ اللهُ الناسَ عليها.

والإسلامُ دينٌ:

- ✓ قَيِّمٌ في ذاتِه.
- ✓ قائمٌ على العدلِ.
- ✓ ومراعاةِ الفضلِ في جميعِ المعاملاتِ.
- ✓ يأمرُ بالمعروفِ وينهى عَن المنكرِ.
- ✓ ويُحلُّ الطيباتِ ويُحرِّمُ الخبائثَ.
- ✓ ويدعو إلى الخيرِ والبِرِّ والعفوِ والصَّفحِ الجميلِ.

فتعالوا بنا ننظرْ في هذه الوصيةِ لنأخذَ منها –بقدرِ طاقتنا– ما ينفعُنا في ديننا ودنيانا، وعلى اللهِ قصدُ السبيلِ.

(١٣) أخرجه أبو داود وأحمد– إسناده صحيح.

يقول النبي (ﷺ) : (من استعاذَ باللهِ فأَعيذوهُ) ويا لها من دعوة إلى السِّلمِ والعفوِ والتَّريثِ في اتخاذِ القرارِ وإصدارِ الحكمِ.

يقول أستاذنا د/ محمد بكر إسماعيل (رحمه الله): مَن لاذَ باللهِ واعتصمَ به منكم فأجيروه؛ تأدُّبًا مع اللهِ (عزَّ وجلَّ)، ورحمةً به، وعطفًا عليه، وعلى أهلِه، وقدوةً لغيرِكم في هذا؛ فهو نوعٌ من التجمُّلِ المحمودِ في أغلبِ الأحوالِ، وفيه ما فيه من إظهارِ سماحةِ الإسلامِ بالفعلِ لا بالقولِ فحسب؛ فإنَّ المسلمَ ينبغي أن يُعطيَ المثلَ من نفسِه في الصبرِ والجَلَدِ وقوَّةِ التحمُّلِ، والعفوِ عند المقدرةِ.

وغالبًا ما يكونُ هذا المستعيذُ ممَّن يستحقُّ الرحمةَ؛ لعجزِه عن المقاومةِ أو ضعفِه عن تحمُّلِ ما أصابه.

وربما يكونُ اعتصامُه باللهِ ناشئًا عن ميلِه إلى السِّلمِ وبغضِه للشقاقِ، وحبِّه للوفاقِ، وشعورِه بالنَّدمِ، وعزمِه على التوبةِ النصوحِ.

ومن هنا يجبُ النظرُ في عمومِ هذا الأمرِ لتخصيصِه بالقرينةِ؛ لأنَّ الذي يستعيذُ باللهِ واحدٌ من ثلاثةٍ:

١ - **إمَّا أن يكونَ محتالًا، يريدُ التخلُّصَ مما سيقعُ فيه حتمًا من العقوبةِ التي يستحقُّها، ريثما يتمكَّنُ ممَّن أعاذَه، فيفعلُ به مثلَ ما فعلَ وأكثر**، فهذا معتدٍ ظالمٌ غاشمٌ أفَّاكٌ أثيمٌ، لا يستحقُّ منَّا أن نُقدِّمَ له الأمانَ من أنفسِنا أو نُعطيَه الدَّنيَّةَ في ديننا؛ فالمؤمنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ، يُقلِّبُ الأمرَ على وجوهِه المحتملةِ، وينظرُ في كلِّ وجهٍ ببصيرتِه المستنيرةِ، ويُقدِّرُ لكلِّ وجهٍ قدرَه، ويدركُ مِن وراءِ هذا التقديرِ أبعادَ الأمورِ، فيحكمُ بما يأمرُه به دينُه وما يُمليه عليه ضميرُه.

فإنْ رأى في هذا المستعيذِ نفاقًا ولُؤمًا فلا يُعذه، ولكن يأخذُ حقَّ اللهِ منه، قال اللهُ عزَّ وجلَّ: (إِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) (الأنفال: ٥٨)، أيْ: في أيِّ وقتٍ تتوقَّعُ من قومٍ خيانةً فاطرحِ العهدَ الذي بينك وبينهم وأعلِمْهم بذلك، حتى يكونوا على بصيرةٍ من أمرِهم، فإمَّا أن يخافوا فيرجعوا عمَّا هم فيه، وإمَّا أن ينتظروا منك حربًا لا هوادةَ فيها؛ دفاعًا عن الدينِ –والوطنِ– وصيانةً للحُرماتِ، قال تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ) (البقرة: ١٩٣).

٢ - **وإمَّا أن يكونَ هذا المستعيذُ باللهِ عاجزًا عن المقاومةِ، ولا يتوقَّعُ منه الشَّرَّ إنْ نحن أجرناه وتأدَّبنا مع اللهِ في شأنه، فلنُجِرْه**؛ لعلَّه يتوبُ إلى ربِّه، ويُصلحُ مِن نفسِه، ولكن ينبغي أن نكونَ منه على حذرٍ.

٣ - **وأمَّا الثالثُ: فهو الكريمُ الذي أُعيتْه الحيلُ عن تحصينِ نفسه، وانقطعتْ به السُّبلُ عن إحرازِ ماله، ولم يجدْ ملجأً يأوي إليه، وكان في حاجةٍ ماسَّةٍ إلى العونِ والحمايةِ**، فهذا وأمثالُه يجبُ علينا أن نُجيرَه من عدوِّه، وأن نُعينَه في أمرِ معاشِه ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا.

والطاعةُ على قدرِ الطاقةِ، وهذا الوجوبُ على الكفايةِ لا على التعيينِ، والواجبُ على الكفايةِ هو الذي إذا قامَ به البعضُ سقطَ عن الباقين [١٤].

من هو أسامة بن زيد؟

نتعرف على طرف من سيرته من خلال سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، فهو: أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن امرئ القيس، المولى الأمير الكبير حِبّ رسول الله (ﷺ) ومولاه، وابن مولاه.

استعمله النبي (ﷺ) على جيش لغزو الشام، وفي الجيش عمر والصحابة الكبار، فلم يسر حتى توفي رسول الله (ﷺ) فبادر الصديق ببعثهم، فأغاروا على "أبنى"، من ناحية البلقاء. وقيل: إنه شهد يوم مؤتة مع والده. وقد سكن "المزة" مدة، ثم رجع إلى المدينة، فمات بها... وقيل: مات بوادي القرى.

(١٤) د/ محمد بكر إسماعيل: د/ محمد بكر إسماعيل: وصايا الرسول (ﷺ) وأثرها في تقويم الفرد وإصلاح المجتمع، الطبعة الأولى، ج ٣، القاهرة: دار المنار، ص ٢٩٠-٢٩٢ بتصرف..

حدث عنه أبو هريرة، وابن عباس، وأبو وائل، وأبو عثمان النهدي، وعروة بن الزبير، وأبو سلمة، وأبو سعيد المقبري، وعامر بن سعد، وأبو ظبيان، وعطاء بن أبي رباح، وعدة، وابناه: حسن، ومحمد.

ثبت عن أسامة قال: كان النبي (ﷺ) يأخذني والحسن، فيقول: اللهم، إني أحبهما، فأحبهما. وكان أكبر من الحسن بأزيد من عشر سنين.

وكان شديد السواد، خفيف الروح، شاطرًا، شجاعًا. ربَّاه النبيُّ (ﷺ) وأحبَّه كثيرًا.

وهو ابن حاضنة النبي (ﷺ): أم أيمن وكان أبوه أبيض.

وقيل بأن عليا قال: يا رسول الله، أي أهلك أحب إليك ؟ قال: فاطمة. قال: إنما أسألك عن الرجال ؟ قال: مَن أنعم الله عليه، وأنعمت عليه: أسامة بن زيد. قال: ثم من ؟ قال: ثم أنت.

وقالت عائشة في شأن المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يجترئ على أن يتحدث مع رسول الله ليكلمه فيها إلا أسامة، حبِّ رسول الله، (ﷺ).

قال زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: فرض عمر لأسامة ثلاثة آلاف وخمس مائة، وفرض لابنه عبد الله ثلاثة آلاف. فقال: لم فضلته عليَّ، فوالله ما سبقني إلى مشهد؟ قال عمر: لأن أباه كان أحب إلى رسول الله من أبيك، وهو أحب إلى رسول الله (ﷺ) منك، فآثرت حبَّ رسول الله على حبي. (حسنه الترمذي).

قال ابن عمر: أمَّر رسولُ الله (ﷺ) أسامة، فطعنوا في إمارته؛ فقال: إن يطعنوا في إمارته، فقد طعنوا في إمارة أبيه، وايم الله إن كان لخليقا للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي، وإن ابنه هذا لمن أحب الناس إلي بعده.

ولما أمره النبي (ﷺ) على ذلك الجيش، كان عمره ثماني عشرة سنة.

وقيل بأن النبي (ﷺ) أخر الإفاضة من عرفة من أجل أسامة ينتظره، فجاء غلام أسود أفطس. فقال أهل اليمن: إنما جلسنا لهذا، فلذلك ارتدوا. يعني أيام الردة.

قال وكيع: سلم من الفتنة من المعروفين: سعد، وابن عمر، وأسامة بن زيد، ومحمد بن مسلمة.

وعن عائشة: أمرني رسول الله أن أغسل وجه أسامة وهو صبي. قالت: وما ولدت، ولا أعرف كيف يغسل الصبيان، فآخذه، فأغسله غسلا ليس بذاك. قالت: فأخذه فجعل يغسل وجهه.

وعن عمر: أنه لم يلق أسامة قط إلا قال: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله، توفي رسول الله (ﷺ) وأنت عليَّ أمير. وقال قيس بن أبي حازم: إن رسول الله حين بلغه أن الراية صارت إلى خالد، قال: فهلا إلي رجل قتل أبوه؟ يعني أسامة. وعن أبي إسحاق، عن جبلة، قال: كان رسول الله (ﷺ) إذا لم يغز، أعطى سلاحه عليا أو أسامة.

وقال أسامة بن زيد: أدركت رجلا أنا ورجل من الأنصار، فلما شهرنا عليه السيف، قال: لا إله إلا الله. فلم ننزع عنه، حتى قتلناه. فلما قدمنا على النبي (ﷺ) أخبرناه خبره. فقال: يا أسامة، من لك بلا إله إلا الله ؟ فقلنا: يا رسول الله، إنما قالها تعوذا من القتل. قال: من لك يا أسامة بلا إله إلا الله ؟ فما زال يرددها، حتى لوددت أن ما مضى من إسلامي لم يكن، وأني أسلمت يومئذ، ولم أقتله... وقد فصَّلنا القول في ذلك من قبل.

وكان أسامة يركب إلى مال له بوادي القرى، فيصوم الاثنين والخميس في الطريق.

فقيل له: تصوم الاثنين والخميس في السفر، وقد كبرت وضعفت، أو رققت! فقال: إن رسول الله (ﷺ) كان يصوم الاثنين والخميس، وقال: إن أعمال الناس تعرض يوم الاثنين والخميس.

وورد عن أسامة، أنه قال: كنت أصوم شهرا من السنة، فذكرته للنبي (ﷺ) فقال: أين أنت عن شوال.

فكان أسامة إذا أفطر، أصبح الغد صائما من شوال، حتى يتم على آخره.

وقيل بقي مائة وثمانية عشر حديثا، منها في البخاري ومسلم .قال الزهري: مات أسامة بالجرف.

وعن المقبري، قال: شهدت جنازة أسامة، فقال ابن عمر: عجلوا بحِبِّ رسول الله قبل أن تطلع الشمس.
قال ابن سعد: مات في آخر خلافة معاوية [١٥]. رضي الله عنهم جميعا.
أيها الأخوة المؤمنون: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) رسولُ الله.. عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله.. يقول الحق (تبارك وتعَالَى): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢).
بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَسُوقُ الْخَيْرَ إِلَّا اللَّهُ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا اللَّهُ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، مَا كَانَ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. أما بعد يا عباد الله...

منظومة حقوق الإنسان في الإسلام
(أربعة وعشرون حقًّا تُجسّد كرامة الإنسان وعدالة الشريعة)

أيهما المؤمنون:
لقد سبق الإسلامُ كلَّ المواثيق الوضعية حين أعلن عن كرامة الإنسان منذ لحظة الخلق، وجعلها ميثاقًا ربانيًّا لا يُنتزع، فقال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (الإسراء: ٧٠)، ومن هذا التكريم انبثقت منظومة متكاملة من الحقوق، تحفظ للإنسان إنسانيته في نفسه ومجتمعه، في سِلمه وحربه، في دنياه وآخرته.

أولًا: الحقوق الفطرية الأساسية

١- حق الحياة:

الحياة في الإسلام مصانة ومحمية بنصوص الوحي الشريف المعصوم، لا تُسفك إلا بحقّ بيّن. قال تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (الأنعام: ١٥١)، وقال تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا) (الإسراء: ٣٣)، فكل إنسان له حقٌّ في الحياة مصون بحدود الله وعدله.

٢- حق الكرامة الإنسانية:

الكرامة ليست منحة من بشر، بل هبة من الله (سبحانه وتعالى) لكل إنسان، قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...) (الإسراء: ٧٠)... فلا يجوز امتهان الإنسان أو إذلاله أو التمييز ضده.

٣- حق الحرية:

حرية الإنسان أساس مسؤوليته، وركن إنسانيته، ومن ثم فهم محمية ومصانة في الإسلام شريطة أن تكون في إطار الممارسات المقبولة شرعا وعرفا وألا تكون سببا في إلحاق الأذي بالآخرين، قال تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٥٦)، كما أن حرية الفكر والاعتقاد والرأي مكفولة ما لم تَمسّ حرية الآخرين –كما قلنا– أو تهدم القيم.

(١٥) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة: ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، الجزء الثاني، ص ٤٩٧–٥٠٧.

٤- حق الأمن والأمان:

أن يعيش الإنسان آمنًا في نفسه وماله وعِرضه من أعظم مقاصد الشريعة، ولا ريب في أن نعمة الأمن من أكبر النِّعم التي امتن بها على الإنسان، يقول النبي (ﷺ) : (مَنْ أصبحَ منكمْ آمنًا في سربِه، معافًى في جسدِه، عندَهُ قوتُ يومِه، فكأنَّما حيزتْ له الدنيا بحذافيرِها) (١٦).

٥- حق العدالة والمساواة:

العدالة روح الشريعة، والمساواة ميزانها، فأساس التمايز بين الناس في الإسلام: التقوى، والعمل الصالح، والخُلُق الفاضل، والعمل النبيل الجميل الذي يفيد الناس ويرقي الحياة، إذًا فالناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي ولا فرق بين غنيّ وفقير، ولا خفير ولا وزير، ولا قصير ولا طويل، ولا أبيضَ ولا أسودَ إلا بالتقوى والعمل الصالح، فالكل أمامَ اللهِ سواءٌ، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل: ٩٠).

٦- حق الخصوصية والحرمة الشخصية:

البيوت والقلوب أسرار مصونة... قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) (الحجرات: ١٢)، وهكذا لا يُسمح بانتهاك حياة الإنسان الخاصة إلا بحقٍ مشروع.

٧- حق الكلمة المسؤولة:

حرية القول مقيدة بالصدق والاحترام، لا بالسباب والافتراء... وقد فرض الله الصدق، وحرم الكذب، وحرم الإسلام الغيبة والنميمة وقول الزور وغيرها، قال تعالى: (...وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا...) (البقرة: ٨٣).

٨- حق الكسب والعمل الشريف:

العمل عبادة، والكسب الحلال حقٌّ شريف، قال تعالى: (وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ. وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ. ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ.وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ) (النجم: ٣٩-٤٢).

٩- حق الحماية من التعذيب والإهانة:

كرامة الجسد مصونة، والاعتداء عليه جريمة... قال ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيا) (١٧).

ثانيا: الحقوق الاجتماعية والإنسانية

١٠- حق تكوين الأسرة:

الأسرة لبنة المجتمع، وموئل المودة والسكينة... قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الروم: ٢١).

١١- حق المرأة في الكرامة والمشاركة:

كرّمها الإسلام أمًّا وبنتًا وزوجةً وعاملةً ومتعلمةً... قال ﷺ: (إنَّما النساءُ شقائقُ الرجالِ) (١٨).

١٢- حق الطفل في التربية والرعاية:

للأطفال حق في الحماية والتنشئة الصالحة... قال ﷺ: (كَفى بالمرءِ إثمًا أنْ يُضيّعَ مَن يَعولُ) (١٩).

---

(١٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد – حسن.

١٧ أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(١٨) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير – صحيح.

(١٩) أخرجه الحاكم في المستدرك صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

١٣- حق كبار السن:

التوقير والحماية والرعاية وجبر خاطركم وقضاء كل حوائجهم، واجب شرعي وإنساني... قال ﷺ: (ليس منَّا مَن لم يوَقِّرْ كبيرَنا، ويرحَمْ صغيرَنا) (٢٠).

١٤- حق الجار:

الإحسان إلى الجار ركن من مكارم الإسلام... قال رسولُ الله (ﷺ) : (ما زالَ جِبريلُ يوصيني بالجارِ حتَّى ظنَنتُ أنَّهُ سيورِّثُه) (٢١).

١٥- حق ذوي الاحتياجات الخاصة:

الضعف لا يُسقط الحق، بل يزيده تأكيدًا... وقد جعلهم الله من أسباب النصر والرزق، قالَ النَّبيُّ (ﷺ) : (هلْ تُنْصَرُونَ وتُرْزَقُونَ إلَّا بضُعَفَائِكُمْ؟!) (٢٢).

١٦- حق الفقراء والمحتاجين:

الزكاة والصدقة ليست إحسانًا، بل حقٌّ واجب لهم، قال تعالى: (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) (الذاريات: ١٩).

ثالثا: الحقوق القضائية

١٧- حق التقاضي والإنصاف:

الناس سواسية أمام القضاء، لا يُظلم أحد... قال تعالى: (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (المائدة: ٤٢).

١٨- حق الدفاع عن النفس والعدل الشامل مع الجميع:

لا يُدان أحد إلا بعد سماع حجّته... ولا نفرق بين الناس في القضاء على أساس الدين أو العرق أو الجنس...إلخ، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المائدة: ٨).

١٩- الأصل في الأنسان البراء حتى يثبت العكس باليقين:

الأصل في الإنسان البراءة حتى يثبت العكس، والبينة على من ادعى، واليمين على من أنكر.

٢٠- حق المعاملة الكريمة في العقوبة:

حتى المذنب له حق في الرحمة وعدم الإهانة، قال (ﷺ): (أَطْعِمُوا الجائِعَ، وعُودُوا المَرِيضَ، وفُكُّوا العانِيَ) (٢٣).

٢١- الحق في التوبة والأوبة والرجوع إلى الله وإلى الحق:

باب الرحمة مفتوح لكل مذنب، قال تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (الزمر: ٥٣).

رابعا: الحقوق العامة للأمة والمجتمع

٢٢- حق المشاركة في الشأن العام (الشورى):

المسؤولية جماعية، والرأي شورى بين الناس، قال تعالى: (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) (الشورى: ٣٨).

---

(٢٠) أخرجه شعيب الأرناؤوط تخريج المسند لشعيب – صحيح.

(٢١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(٢٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(٢٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه

٢٣- حق التعلم والمعرفة:

العلم فريضة ومفتاح لكل حضارة، قال تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ...) (المجادلة: ١١).

٢٤-حق البيئة النظيفة والتوازن الكوني:

الإسلام دين الجمال والنظافة والعمران.قال ﷺ: (ابنُ آدمَ ستُّون و ثلاثمائةِ مِفصَلٍ، على كلِّ و احدٍ منهما في كلِّ يومٍ صدقةٌ، فالكلمةُ الطيِّبةُ يتكلم بها الرجلُ صدقةٌ، و عَونُ الرجلِ أخاه على الشيءِ صدقةٌ، والشربَةُ من الماءِ يسقيها صدقةٌ، وإماطةُ الأذى عن الطريقِ صدقةٌ) [٢٤]، وقال (ﷺ): (من أحيا أرضًا ميّتةً فهي له) [٢٥].

وهكذا.. فإن هذه الحقوق السابقة التي أشرنا إليها، تُجسّد الميثاق الإلهي لكرامة الإنسان، وتُظهر أن الإسلام لم يأتِ ليرسم علاقة العبد بربه فحسب؛ بل ليقيم العدل بين الناس، ويحفظ كيانهم النفسي والجسدي والفكري والاجتماعي والاقتصادي على أسس ربانية، وتؤكد السبق الحضاري للإسلام الذي سبق شتى المواثيق الأرضية حين أقام دعائم حقوق الإنسان على أساسٍ من الإيمان بالله والرحمة بخلقه والعدل بين عباده، وجعل هذه الأمور الدينية والتعبدية التي تنبعث من أقوى المشاعر تأثير في حياة الإنسان والتي يثاب عليها المسلم، فصار كلّ إنسانٍ في ظلّ هذه الشريعة الكاملة محترم الدم، مصون العرض، موفور الكرامة، ما دام يعيش في رحاب منهج الله.

اللهم اكتُب أسماءنا في سجلات المؤمنين الموحدين، وفي ديوان المرحومين، وارفع أقدارنا في علّيين، وأنزل علينا السكينة والطمأنينة، ونور اليقين.. نسأل الله أن يبارك في أوطاننا ويحفظها من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللَّهُمَّ احفظها من كل سوء، وبارك لنا فيها، واجعلها دار أمن وإيمان، وسلامٍ وإسلام. اللَّهُمَّ من أرادها بسوء فاجعل تدبيره تدميره، وردّ كيده إلى نحره. اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وجيشها وأمنها وأزهرها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين.

اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا اللهم طهّر قلوبنا من الكبر، وزيّنها بالتواضع،اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلّ اللهم وسلِّم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(...رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) (النمل: ١٩)، (..الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﷺ ...) (الأعراف: ٤٣)... اللهم تقبل هذا العمل من الجميع... وبالله تعالى التوفيق

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري ٢٠٢٢م)
المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية- عضو نقابة اتحاد كُتَّاب مصر

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman55555@gmail.com

تم تدشين صفحة #معارج_الدعاة للدكتور أحمد علي سليمان، للإسهام في إثراء العمل الدعوي والدعاة يرجى متابعتها ونشرها

https: //www.facebook.com/share/١٦u٦EDacEw/?mibextid=LQQJ٤d

(٢٤) أخرجه الطبراني واللفظ له، وأخرجه البخاري في (الأدب المفرد) باختلاف يسير – صحيح

(٢٥) أخرجه مالك، والشافعي في (المسند) (بلفظه، وأبو يوسف في (الخراج) بزيادة في آخره، وابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب – علقه البخاري، ووصله غيره.